

وظيفة الرسل عليهم السلام

(من رسالة التوحيد)

« تبين مما تقدم في حاجة العالم الانساني الى الرسل انهم من الامم بمنزلة
المقول من الاشخاص وان بعثهم حاجة من حاجات المقول البشرية
قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ونعمة من نعم واهب الوجود ميز
بها الانسان عن بقية الكائنات من جنسه ولكنها حاجة روحية وكل
مالامس الحس منها فالتصد منه الى الروح وتطهيرها من دنس الالهواء
الضالة او تقويم ملكاتها او ايداعها ما فيه سمادتها في الحياتين . اما تفصيل
طرق المعيشة والخذق في وجوه الكسب وتناول شهوات العقل الى درك
ما اعد للوصول اليه من اسرار العلم فذلك مما لا دخل للرسالات فيه الا
من وجه المظة العامة والارشاد الى الاعتدال فيه وتقرير ان شرط ذلك
كله ان لا يحدث ريباً في الاعتقاد بان للكون الها واحداً قادراً عالماً حكماً
متصفاً بما اوجب الدليل ان يتصف به وباستواء نسبة الكائنات اليه في
انها مخلوقة له وصنع قدرته وانما تفاوتها فيما اختص به بعضها من الكمال .
وشرطه ان لا ينال شيء من تلك الاعمال السابقة اُحداً من الناس بشر في
نفسه أو عرضه او ماله بنير حق يقتضيه نظام عامة الامة على ما حدد في شريعتها
يرشدون العقل الى معرفة الله وما يجب ان يعرف من صفاته ويبينون
الحمد الذي يجب ان يقف عنده في طلب ذلك العرفان على وجه لا يشق
عليه الاطمئنان اليه ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة ، يجمعون كلمة

لخلق على الله واحدا لفرقة معه ومخلون السبيل بينهم وبينه ووحده وينهضون
فوسمهم الى التعلق به في جميع الاعمال والمعاملات ويذكرونهم بعظمته
يفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الاوقات تذكرا لمن ينسى
وتزكية مستمرة لمن يخشى تقوي ما ضعف منهم وتزيد المستيقن يقينا

«يبينون للناس ما اختلفت فيه عقولهم وشهواتهم ، وتنازعته مصالحهم
ولذاتهم ، فيفصلون في تلك المخاصبات بأمر الله الصادع ويؤيدون بما يلفون
عنه ما تقوم به المصالح العامة ولا تقوت به المنافع الخاصة ، يمدون
بالناس الى الالفه ، ويكشفون لهم سر المحبة ، ويستفتونهم الى ان فيها انتظام
شمل الجماعة ، ويفرضون عليهم مجاهدة انفسهم ليستوطنوها قلوبهم ويشروها
اقتدتهم . يعلمونهم لذلك ان يرعى كل حق الآخر وان كان لا يتقل حقه
وان لا يتجاوز في الطلب حده وان يعين قويمهم ضعيفهم ويمدغنيهم فقيرهم
ويهدي راشدهم ضالهم ويعلم عالم جاهلهم

يضعون لهم بأمر الله حدودا عامة يسهل عليهم ان يردوا اليها
اعمالهم كاحترام الدماء البشرية الا بحق مع بيان الحق الذي تهدرله ، وحظر
تناول شيء مما كسبه الغير الا بحق مع بيان الحق الذي يبيح تناوله ، واحترام
الاعراض مع بيان ما يباح وما يحرم من الابضاع . ويشرعون لهم مع
ذلك ان يقوموا انفسهم بالملاكات الفاضلة كالصدق والامانة والوفاء
بالمعقود ، والمحافظة على المهود ، والرحمة بالضعفاء ، والاقدام على نصيحة
الاقوياء ، والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء ، يحملونهم على تحويل
اهوائهم عن اللذائذ الفانية ، الى طلب الرغائب السامية ، آخذين في ذلك

كله بطرف من التريب والترهيب والانذار والتبشير حسبما امرهم الله
جل شأنه

يفصرون في جميع ذلك للناس ما يؤهلهم لرضاء الله عنهم وما يبرئهم
لستغفاره عليهم ثم يحيطون بياتهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من
الثواب وحسن العقبي لمن وقف عند حدوده وأخذ بأوامره وتجنب
الوقوع في محظيره ، يعلوونهم من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده في العلم
به مما لم يوجب على العقل اكتناؤه لم يشق عليه الاعتراف بوجوده

بهذا تطمئن النفوس ، وتلج الصدور ، ويستقيم المرزوق بالصبر ، انتظارا
لجزيل الاجر ، وارضاء لمن يبيده الامر ، وبهذا ينحل أعظم مشكل في
الاجتماع الانساني لا يزال القلاء يجهدون أنفسهم في حله الى اليوم
ليس من وظائف الرسل ما هو من عمل المدرسين ومعلمي الصناعات
فليس مما جاؤا له تعاليم التاريخ ولا تفصيل ما يحويه عالم الكواكب ولا
بيان ما اختلف من حرركاتها ولا ما استكن من طبقات الارض ، ولا
مقادير الطول فيها والعرض ، ولا ما تحتاج اليه النباتات في نموها ، ولا ما
تتمتع اليه الحيوانات في بقاء اشخاصها وأنواعها ، وغير ذلك مما وضعت له
العلوم ، وتسابقت في الوصول الى دقائقه الفهوم ، فان ذلك كله من وسائل
الكسب وتحصيل طرق الراحة ، هدى الله اليه البشر بما أودع فيهم من
الادراك يزيد في سعادة المحصلين ، ويقضي فيه بالنكد على المقصرين ، ولكن
كانت سنة الله في ذلك ان يتبع طريقة التدرج في الكمال وقد جاءت
شرائع الانبياء بما يحمل على الاجمال بالسعي فيه وما يكفل التزامه بالوصول
الى ما أعد الله له الفطر الانسانية من مراتب الارتقاء

«أما ما ورد في كلام الانبياء من الاشارة الى شيء مما ذكرنا في احوال الافلاك او هيئة الارض فانما يقصد منه النظر الى ما فيه من حكمة مبدعة او توجيه الفكر الى الغرض لادراك اسراره وبيدائمه . وحالهم عليهم الصلاة والسلام في مخاطبة امهم لا يجوز ان تكون فوق ما يفهمون والاضاعت الحكمة في ارسالم ولهذا قد يأتي التعبير الذي سبق الى العامة بما يحتاج الى التأويل والتفسير عند الخاصة ، وكذلك ما وجه الى الخاصة يحتاج الى الزمان الطويل حتى يفهمه العامة ، وهذا القسم اقل ما ورد في كلامهم

«على كل حال لا يجوز ان يقام الدين حاجزاً بين الارواح وبين ما ميزها الله به من الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات الممكنة بقدر الامكان . بل يجب ان يكون الدين باعثاً لها على طلب العرفان ، مطالباً لها باحترام البرهان ، فارضاً عليها ان تبذل ما تستطيع من الجهد في معرفة ما بين يديها من العوالم ولكن مع التزام القصد ، والوقوف في سلامة الاعتقاد عند الحد ، ومن قال غير ذلك فقد جهل الدين ، وجني عليه جناية لا يقفها له رب الدين

﴿ اعترض مشهور ﴾

«قال قائل ان كانت بعثة الرسل حاجة من حاجات البشر وكما لا ننظم اجتماعهم وطريقاً لسعادتهم الدنيوية والاخروية فما بالهم لم يزوالوا الشقياء، عن السعادة بعداء ، يتخالفون ولا يتفقون، يتقاتلون ولا يتناصرون، يتناهبون ولا يتناصفون ، كل يستعد للوثبة ، ولا ينتظر الا حجي والنوبة، حشو جلودهم

العظم، وملء قلوبهم الطمع، عد كل ذوي دين دينهم حجة لمقارعة من خالفهم فيه، واتخذوا منه سبباً جديداً للمداوة والعدوان فوق ما كان من اختلاف المصالح والمنافع، بل أهل الدين الواحد قد تنشق عصام وتختلف مذاههم في فهمه وتنفارق عقولهم في عقائدهم ويثور بينهم غبار الشر، وتتشبه أهواؤهم بالفتن، فيسفكون دماءهم، ويخربون ديارهم، الى ان يغلب قلوبهم ضعيفهم فيستقر الامر للقوة لا للحق والدين، فهاهو الدين الذي تقول انه جامع الكلمة ورسول المحبة، كان سبباً في الشقاق ومضراً للضعيفة، فما هذه الدعوى وما هذا الاثر؟؟

«نقول في جوابه نعم كل ذلك قد كان ولكن بعد زمن الانبياء وانقضاء عهدهم ووقوع الدين في ايدي من لا يفهمه او يفهمه ويغلو فيه ولكن لم يمتزج حبه بقلبه أو امتزج بقلبه حب الدين ولكن ضاقت صفة عقولهم عن تصريفه تصريف الانبياء انفسهم او الخيرة من تبعهم، والافضل لنا أي نبي لم يأت امته بالخير الجهم، والفيض الاعم، ولم يكن دينه وافياً بجميع ما تمس اليه حاجتها، في افرادها وجملتها

«أظن انك لا تخالفنا في ان الجمهور الاعظم من الناس (بل الكل الا قليلاً) لا يفهمون فلسفة أفلاطون ولا يقيسون أفكارهم وآراءهم بمنطق أرسطو، بل لو عرض أقرب العقول الى العقول عليهم بأوضح عبارة يمكن ان يأتي بها معبر لما أدر كوامنها الاخيالاً لا أثر له في تقويم النفس ولا في اصلاح العمل، فاعتبر هذه الطبقات في حالها التي لا تفارقها من تلاعب الشهوات بها، ثم انصب نفسك واعظاً بينها في تخفيف بلا مساقاة النزاع اليها، فأبي الطريق أقرب اليك في مهاجمة شهواتهم ووردها الى الاعتدال في رفايتها؟؟»

« من البديهي أنك لا تجد الطريق الأقرب في يازع مضار الأسراف
في الرغب وفوائد القصد في الطلب وما ينحو نحو ذلك مما لا يصل إليه
أرباب العقول السامية إلا بطويل النظر وإنما تجد أقصد الطرق وأقومها
أن تأتي إليه من نافذة الوجدان المطلقة على سر القبر المحيط به من كل
جانب فتذكره بقدره الله الذي وهب ما وهب، الطالب عليه في أدنى شأنه
إليه المحيط بما في نفسه، الآخذ بأزمة همه، ونسوق إليه من الأمثال في
ذلك ما يقرب إلى فهمه . ثم تروى له ما جاء في الدين المتشد به من
واعظ وعبر، ومن سير السلف في ذلك الدين ما فيه أسوة حسنة، وتعيش
روحه بذكر رضا الله عنه إذا استقام وسخطه عليه إذا تقصم، عند ذلك ينحس
منه القلب، وتدمع العين، ويستخذي الغضب، وتحمم الشهوة، والسامع لم يفهم
من ذلك كله إلا أنه يرضي الله وأولياءه إذا أطاع ويستغفم إذا عصى،
ذلك هو المشهور من حال البشر غابروهم وحاضرهم، ومنكره يسم نفسه أنه
ليس منهم، كم سمعنا أن عيوناً بكّت، وزفرات صعدت، وقلوباً خشعت،
لواعظ الدين، لكن هل سمعت بمثل ذلك بين يدي نصاح الأدب وزعماء
السياسة، متى سمعنا أن طبقة من طبقات الناس ينال الخير على أعمالهم
لما فيه من المنفعة لعامتهم، أو خاصتهم وينفي الشر من بينهم لما يجلبه عليهم
من مضار ومهلك،؟ هذا أصراً يمهّد في سير البشر ولا ينطبق على فطرهم
وإنما قوام الملكات هو العقائد والتقاليد ولا قيام للأميرين إلا بالدين فعامل
الدين هو أقوى العوامل في أخلاق العامة بل والخاصة وسلطانه على
نفوسهم أعلى من سلطان العقل الذي هو خاصة نوعهم
« قلنا إن منزلة النبوات من الاجتماع هي منزلة العقل من الشخص

أو منزلة العلم المنسوب على الطريق المسلك بل نصد به الى ما فوق ذلك ونقول منزلة السمع والبصر ، أليس من وظيفة الباصرة التمييز بين الحسن والقبيح من المناظر ، وبين الطريق السهلة السلوك والمعابر الوعرة ، ومع ذلك فقد يسيء البصير استعمال بصره فيتردى في هاوية يهلك فيها وعيناه سلیمان تلماذ في وجهه ، يقع ذلك لطيش أو احمال أو غفلة أو لجاج أو خناد ، وقد يقوم من العقل والحس الف دليل على مضرة شيء ، ويعلم ذلك الباغي في رأيه من اهل الشر ثم يخالف تلك الدلائل الظاهرة ويقتحم المكروه لقضاء شهوة اللجاج او نحوها ولكن وقوع هذه الامثال لا يتقص من قدر الحس او العقل فيما خلق لاجله ، كذلك الرسل عليهم السلام اعلام هداية نصبها الله على طريق النجاة فن الناس من اهتدى بها فاتمى الى غايات السعادة ، ومنهم من غلط في فهمها وانحرف عن هديها فانكب في مهاوي الشقاء ، فالدين هاد والنقص يعرض لمن دُعوا الى الاهتداء به ، ولا يطمئن نقصهم في كماله واشتداد حاجتهم اليه « يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاحقين » ألا ان الدين مستقر السكينة ، ولجأ الطائفة به يرضى كل بما قسم له ، وبه يدأب عامل حتى يبلغ الغاية من عمله ، وبه تخضع النفوس الى احكام السنن العامة في الكون ، وبه ينظر الانسان الى من فوقه في العلم والفضيلة ، والى من دونه في المال والجاه ، اتباعا لما وردت به الاوامر الالهية ، الدين أشبه شيء بالبواعث الفطرية الالهية منه بالدواعي الاختيارية ، الدين قوة من أعظم قوى البشر وانما يعرض عليها من المال ما يعرض لغيرها من القوى وكل ما وجه الى الدين من مثل الاعتراض الذي نحن بصدده فبته في اعناق القائم عليه الناصبين

أنفسهم منصب الدعوة اليه، أو المروفين بأنهم من حفظته ورجاة احكامه، وما طيهم في ابلاغ القلوب بغيثها منه إلا أن يهتدوا به، ويرجعوا به الى أصوله الطاهرة الاولى، ويضعوا عنه أوزار البدع، وترجع اليه قوته، وتظهر للاعشى حكيمته

« ربما يقول قائل ان هذه المقابلة بين العقل والدين تميل الى رأي القائلين باهمال العقل بالمرّة في قضايا الدين وبأن أساسه هو التسليم المحض وقطع الطريق على أشعة البصيرة ان تنفذ الى فهم ما أودعه من معارف وأحكام . فنقول لو كان الامر كما عساه ان يقال لما كان الدين علماً يهتدى به وإنما الذي سبق تقريره هو ان العقل وحده لا يستقل بالوصول الى ما فيه سعادة الامم بدون مرشد الهي كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لا بد ممها من السمع لادراك المسوعات مثلاً . كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتهه على العقل من وسائل السعادات والعقل هو صاحب الساطان في معرفة تلك الحاسة وتصريفها فيما منعت لاجله والاذعان لما تكشف له من معتقدات وحدود أعمال . كيف ينكر على العقل دقه في ذلك وهو الذي ينظر في أدلتها ليصل منها الى معرفتها وانها آتية من قبل الله وانما على العقل بعد التصديق برسالة نبي ان يصدق بجميع ما جاء به وان لم يستطع الوصول الى كنهه بمضه والنفوذ الى حقيقته، ولا يقضي عليه ذلك بقبول ما هو من باب المحال المؤدي الى مثل الجمع بين التقيضين أو بين الضدين في موضوع واحد في آن واحد فان ذلك مما تنزهه النبوات عن ان تأتي به فان جاء ما يورم ظاهره ذلك في شيء من الوارد فيها وجب على العقل ان يعتقد ان الظاهر غير مراد وله الخيارات

بعد ذلك في التأويل مسترشداً ببقية ما جاء على لسان من ورد التشابه في كلامه، وفي الفروض الى الله في علمه، وفي سلفنا من الناجين من أخذ بالاول ومنهم من أخذ بالثاني» اهـ

ايران

كتبنا في العدد السالف نبذة وجيزة في مشا كل الدول ومنها مسألة الوزارة في فرنسا وايطاليا وسكتنا عن وزارة ايران التي أخبرنا البرق من مدة باستقالة رئيسها «الصدر الاعظم» ولما يرد بنا آخر بتعيين غيره وقد انتهت المشكلة في فرنسا وايطاليا وتشكلت الوزارة كما نرى في الاخبار البرقية . وقد علمنا من الانباء الخصوصية ان الازمة في بلاد ايران على أشدها فان شركة أجنبية «انكليزية» تطلب من الحكومة الايرانية امتيازاً بحصر التبناك وقد أحدث هذا الطلب هزة في البلاد الايرانية أوجس منها المرشحون للصدارة العظمى خيفة من قبولها وتحمل تبعه التصديق على الامتياز المطلوب امام الامة التي أشمرها جميعها بعظيم ضرره ما كان من أسره في أواخر عهد الشاه ناصر الدين السابق (رح)

طلب هذا الامتياز يومئذ وأقرت عليه الحكومة الايرانية لما كان من عوج وزيرها الاول وضلمه مع انكترافيه بعض المقلاء الناصحين ورئيس العلماء الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي (رح) الملقب بحجة الاسلام للضار هذا الامتياز وانه نافذة للتدخل الاجنبي الذي يذهب باستقلال البلاد وطلب الناصح من الحجة ان يفتي بتحريم التدخين المستلزم ترك زراعة التبناك فافتى وكان ذات يوم روجي عظيم فاضطربت لتواه بلاد السجم كلها